عقيدة النازى الدينية

للدكتور جواد على

تنص المادة ٢٧ والمادة ٢٨ من منهاج الحزب الوطنى الاشتراكى على الحرية الدينية لجميع الألمان وبحماية الديانة المسيحية فى داخل المملكة الألمانية ، وقد طبقت الحكومة الهتلرية فعلاً هذا النص فى جميع أنحاء الريخ فجعلت ضريبة الكنيسة ضريبة إجبارية على كل ألمانى وألمانية حضر صلاة الكنيسة أم لم يحضر ؛ وقاومت حركة الإلحاد ونكران الديانة المسيحية فطردت كل موظف يجاهر بهذه الفكرة وحكمت على كل رجل ينادى بها أو يربى أولاده عليها بأحكام تناسب ظروفه ومنزلته ، وأجبرت الأولاد فى المدارس على حضور دروس الديانة بعد أن كانت مسألة اختيارية قبل الحكم الهتلرى تتعلق بإرادة الوالد . وقد شددت الحكومة فى المراقبة لأن الذين كانوا يجاهرون بهذه الآراء كانوا إما من الحزب الشيوعى أو من الحزب الماركسى أو من الحزب الديمقراطى الاشتراكى ؛ وهذه الأحزاب الثلاثة هى من ألد أعداء هتلر ، لذلك اختفت الحركة بسرعة طبعاً خشية التعرض لهذه التهمة

وحجة الوطنية الاشتراكية فى ذلك هى أنها تقاوم المادية الصرفة البشعة التى تدعو إليها هذه الأحزاب وتدين بالمثل العليا وبالحياة الروحية Geistesleben وبقوة خارقة عليا يدعو هتلر ويشير فى معظم خطبه إليها ، ولكنه لا يصفها بالصفات أو ينعتها بالنعوت التى ترد فى كتب الديانة واللاهوت . بل يراها كقوة مظلمة تشع أشعة مختلفة إلى النفوس حسب كفاية الأبدان التى يتمتع بها ذلك الشخص يظهر أثرها فى الإرادة والعزم . والزعماء فى نظره هم الذين يتمتعون بها أكثر من غيرهم ويمتازون على الأفراد بالعزم والإرادة . ويدعو ممثله ووكيله A. Rosenberg إلى هذه الفكرة فى كتبه ومؤلفاته ويتوسع فى نشر الديانة المسيحية الحقيقية لا الديانة المسيحية الحالية التى هى من مبتكرات اليهود على رأيه . وحاول كذلك دعاة النازى من رجال الكنيسة وعلى رأسهم رئيس أساقفة الريخ ملر توسيع دعوة هتلر ووكيله وتنقيح العقيدة المسيحية حسب التعاليم النازية ؛ ولكنهم اصطدموا بمعارضة واسعة من البروتستانت بقيادة الباستور نيملر أسقف دالم فى برلين الذى لا زال حتى الآن فى السجن ، ومن الكاثوليك بقيادة أسقف فى إيبرك وكاردينال الراين

والنازية نفسها عقيدة دينية تحاول تنظيم حياة الأمة والفرد على أساس العنصرية والزعامة ، وتتدخل حتى فى الأحوال الشخصية للفرد لتكيف حياته وفق التعاليم الجديدة ، وهذا ما يصطدم طبعاً والعقيدة المسيحية التى تراها الوطنية الاشتراكية عقلية يهودية رومية من مبتكرات سكان البحر الأبيض المتوسط ، لا تلتئم أبداً مع العقلية الجرمانية الشمالية . وهذا النقد اللاذع للديانة المسيحية يرجع فى الحقيقة إلى أدوار تسبق هتلر والنازية بكثير ، يكفى أن نتذكر هجمات الفيلسوف فويرباخ الألمانى عليها Ludwig Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) ، وكذلك الفيلسوف نيتشه Fridrich Nitysche (١٨٤٤ — ١٩٠٠) والفيلسوف هوستن جامبرلينى Houston Stewart Chamberlain (١٨٥٥ — ١٩٢٧) مؤسس الفلسفة الوطنية الاشتراكية والمؤثر القوى على هتلر ، والذى كانت بينه وبين هتلر صلات[1]

وعند تسلم الوطنية الاشتراكية زمام الحكم أصبحت هنالك مشكلة الديانة المسيحية مشكلة خطيرة جداً إذ أنها تصطدم مع أصول العقائد النازية ، لذلك ظهرت هنالك عدة محاولات لحل المشكلة حلاً يتفق مع المبدأ النازى ، وظهرت جماعة من بين صفوف الحزب أطلق على مؤسستها اسم (المسيحيون الألمان) Deutsches Christen لم تر إلغاء المسيحية ولا مقاومتها ، ولكنها رأت تجريد الديانة المسيحية من كل أصل أو عقيدة يهودية أو أية فكرة تراها النازية غير جرمانية ، إلا أنها سرعان ما اصدمت بشىء كل ذات خطورة عظيمة وهى تعيين الحدود بين اليهودية وبين المسيحية وإلى أى حد يجب أن يبلغه الحذف والإخراج من هذه الديانة ، وعلى أى أساس يكون ذلك ، أعلى أساس أقوال هتلر وروزنبرك أم على أساس التاريخ . وهذا ما يتعارض مع عقيدة النازى التى لا تؤمن إلا بأقوالها فقط . (أنظر كتاب Heinrich

(١) أنظر آراءه فى كتابه Die Grundlagen des 19. Iahrhunderts وهو من أكبر المدافعين عن نظرية العنصر والمادين لليهود . وهو انكليزى الأصل ، ولكنه ألمانى الثقافة هجر وطنه وسكن ألمانيا فى بايروت مدينة الموسيقى الشهيرة .

Schmidt. Philosophisches Wörterbuch وكان فى نفس الوقت هنالك حركة أخرى أوسع من هذه أطلق عليها اسم الإيمان الألمانى Deutsche Glaubensbewegung انضم إليها بعض رجال الحزب مثلت نزعات مختلفة، فنيت بالتفرقة كذلك؛ فهنالك من اعتقد بوجوب الاعتقاد فقط بقوة عظيمة هى وراء الطبيعة وفوقها يطلق عليها اسم الإله Gott كما هو فى المسيحية، ولا يتوسع بعد ذلك ولا توضع قواعد ومواد لاهوتية أخرى؛ مثل هذه الحركة كراف ريونتلو Graf Reventlow المشهور بآرائه الفلسفية والدينية، وبكتبه فى بادئ الحركة النازية وإن لم يظهر اليوم اسمه عالياً فى صفوف النازى . ومنهم من أراد الاعتقاد بالمسيح ولكن بمسيح جرمانى تكون حياته حياة جرمانية وأوصافه جرمانية كذلك، ذى شعر أشقر يميل إلى البياض، وعينين زرقاوين، طويل الجسم نحيف الوجه لم يخضع لإرادة أحد. وهذه هى آراء البروفسور مندل من جامعة كيل بألمانيا Prof. Mandel - Keil . وتطرف آخرون فقالوا بوجوب إلغاء الديانة المسيحية تماماً والاستعاضة عنها بالديانة الجرمانية القديمة، وإنشاء كنيسة ألمانية بحتة تمارس فيها الطقوس الألمانية ؛ وقام بهذه الحركة — de la vigne Erkmannsdart

وأخيراً اجتمع ممثلو هذه الحركة فى شهر يولى من سنة ١٩٣٣ فى مدينة وار تبرك Wartburg برآسة البروفسور هور Prof. Hauer ، ثم فى سنة ١٩٣٤ فى تيبنكن Thübingen حيث توصلوا إلى وضع الأسس التالية :

١ — يجب أن يكون الإيمان الألمانى مستمداً من الروحية الألمانية

٢ — إن النوع أو العنصر الألمانى مستمد من الأزلية الإلهية ، لذلك يجب إطاعة هذه الأزلية

٣ — على حسب هذه العقيدة يجب أن نتصرف أعمالنا وأقوالنا[1]

وقد ظهر بعض الكتاب يحاولون إثبات أن المسيح لم يكن يهودياً بل كان يونانياً أى آرى الجنس، ومنهم من أثبته رومانياً، ومنهم من حاول البرهنة على أنه يهودى وأن Paulus القديس بولس اليهودى الأصل هو الذى اخترع تلك القصص، أو أنه أدخلها من اليهودية وساقها إلى روما فأوربا حيث حاربت الديانة الجرمانية والأخلاق الجرمانية العتيدة وقضت على العنصرية الجرمانية التى كان يدين بها كل جرمانى حتى القرون الوسطى[1]

غير أن أقوى حركة فى صفوف النازى هى حركة ألفريد روزنبرك الذى يحاول إرجاع الديانة الجرمانية القديمة عن طريق التصوف الألمانى Die Deutsche Mystik فهو يحمل على المسيحية بنوعيها الكاثوليكية والبروتستانتية ، لأن الكثلكة ليست فى نظره سوى الفكرة الإمبراطورية الرومية القديمة Imperium Romanum تتمثل فى محاولة البابوات تكوين سيادة عالمية . أضف إلى ذلك أن الكنيسة قد جردت الجرمان فى نظره من عناصر الحرية والاستقلال والعزة الوطنية الذاتية باستسلامها إلى الآراء العالمية اليهودية ، وسقوط آلاف صرعى فى سبيل الامبراطورية الرومانية التى ورثها البابوات[2]. ويرى فى الكنيسة البروتستانتية كذلك تدخلاً فى السياسة وفى الشئون العامة للشعب وفى المبادئ النازية كما حدث فى مجمع الأساقفة البروتستانت فى عام ١٩٣٧ فى مدينة أكسفورد حيث حمل حملة شعواء على النازية ومبادئها

والطريقة الوحيدة التى يراها هى الرجوع إلى الروحية الألمانية القديمة التى نادى بها المتصوف الألمانى الشهير مايستر إيكهارت ١٢٦٠ — ١٣٢٧ Meister Iohann Eckhart أحد أساتذة الطريقة الدومينيكانية المسيحية Dei Dominikaner وتلميذ اللاهوتى الألمانى الشهير ألبرت فون بولشتيد Albert Von Bollstädt ١٢٠٦ — ١٢٨٠ أحد رؤساء هذه الطريقة كذلك ، وأحسن رجل اطلع على الفلسفة العربية اليهودية فى زمانه ، فقد درس اللغة العربية واللغة العبرية ، وترجم كتب الفلسفة والطب والتصوف إلى اللاتينية ، لغة العلم والدين إذ ذاك ، وكان من أعظم المختصين بفلسفة ابن سينا . واليهودى ابن ميمون[3] وقد تأثر به تلميذه هذا مايستر إيكهارت فمال إلى التصوف وصار الألمان يعتبرونه المؤسس لما يسمى بالتصوف الألمانى

وقد أثرت آراء مايستر إيكهارت فى عصره تأثيراً عظيماً ولا سيما فى مقاطعات الراين حتى اضطرت الكنيسة إلى محاكمته بتهمة الهرطقة والخروج على الدين ؛ وظل تأثيره مدة طويلة حتى عصر النهضة

(١) أنظر كتاب Heinrich Schmidt Philosophisches wörterbuch ص ١١٩ من

(١) أنظر كتاب هل كان المسيح يهوديا ؟ war Iesus ein Iude

(٢) أنظر كتاب Alfred Rosenberg, Protestanische Powpiger. 19 37

(٣) أنظر ص ١٨٣ Karl voländer, Gexhichte der Philosophie

الأوربية . كان يرى أن المعرفة لا تكون بممارسة الطقوس الظاهرية؛ إنما تتم بالتفكير العميق، وخرق الحجب بالتأمل والتدقيق، بعبارته المشهورة « إن أردت اللب فعليك بكسر القشرة » Willst den Kern haben, so musst du die schale Zerbrechen[1] وكذلك بعبارته المشهورة : « تعميق البئر ينتج ماءاً أكثر » والمعرفة Erkenntnis هي الوجود ذاته Sein وبواسطة هذه المعرفة نتوصل إلى إدراك علة الوجود Gott ، ولكن هذا الإله هو في كل مكان لم يكن شيئاً، فخلق نفسه بنفسه؛ خلق النفس Geist وجعلها مساوية لنفسه تماماً فلا يستطيع أن يؤثر عليها أبداً إذ هي حرة طليقة؛ ومن هذه الروح Secle وبواسطة الانهماك في معرفة الحقائق نستطيع الوصول إلى درجة الوحدة أو الاتحاد مع الله حيث تكون الروح كالمرآة بالنسبة لله تماماً ، ويقول في ذلك :

« أحمل في صورة الله : متى أراد رؤية نفسه نظر فيّ ولو أني مثله » والصلة بيني وبين الله هي المحبة liebe وهي كذلك في جميع أجزاء العالم ، والله نفسه يحب ذاته في مخلوقاته وأعماله ، ولولا مخلوقاته هذه لما كان الله خالقاً بل ولم يكن الله موجوداً ، فلولاي لم يكن الله ، ويتصل شعاع الله Funklein بالقوى النفسية العلوية hohere Seelen Kräfte فيحصل من جراء ذلك إدراك الحقيقة والمعرفة[2]

ويرى روزنبرك أن مايستر إيكهارت قد تكلم وعبر عن عقلية آرية جرمانية ومعتقد قديم ، لذلك يريد إحياء تعاليمه هذه وبثها على يد الوطنية الاشتراكية إذ لا طقوس ولا كنيسة كاثوليكية أو بروتستانتية ، بل مبادئ صوفية يجب أن يخضع لها الجميع . وهذا هو خلاصة الديانة المسيحية في نظره والدين الذي يجب أن ينتشر في كل ألمانيا . ولعل ما في نفسية هتلر من اعتكاف وغموض وانزواء في وكره ، وكذلك ما في نفسية روزنبرك من اعتزال عن العالم وحب الانزواء، هما اللذان جرا هذين الرجلين إلى التصوف مع ما بين التصوف والوطنية الاشتراكية من تباين في النظر إلى الحياة والكفاح

والواقع أن هذا التصوف ولو حاول روزنبرك وغيره إسناده إلى الجرمانية القديمة فإن من الصعب إثبات ذلك لعدم وجود نصوص تاريخية تثبت ذلك ولأن هذا الرجل كان هو نفسه تلميذ التصوف (البرت فون بولشتيد) الشهير المترجم للكتب العربية والمتأثر بذلك ، ولأن أفكار (مايستر ايكهارت) واصطلاحاته عبارة عن نسخة طبق الأصل للفلسفة الإسلامية واصطلاحاتها . ولو كان روزنبرك من المستشرقين لغير رأيه تماماً . وروزنبرك نفسه ليس من الاختصاصيين في هذه الموضوعات بل هو كاتب عاطفي ساعدته الظروف على ذلك

ويظهر من هذه التعاليم أن التصوف وهو « التسليم » والتعمق في البحث بإعطاء النفس في العرف الألماني ، ونظرية الإشعاع الإلهي واختلافه باختلاف الناس ، ثم في سهولة توجيه الرأي العام الذي أخذ يميل بعد الحرب العظمى إلى درس المسائل الروحية هي التي دفعت بالوطنية الاشتراكية إلى إحياء فكرة التصوف والبحث عن دين جديد يتفق مع مبادئ الوطنية أو يكيف على حسب آراء هتلر ومبادئه .

ميراد هلي
خريج جامعة هامبرك بالمانيا

* * *

ملاحظة: لزيادة الاطلاع راجع كتاب هتلر : كفاحي ج ١ ص ٣٠١ Mein Kampf ثم ص ١٨١ Der Goebbels, Der Angriff ثم ص ٢٥١ Werner Siebarth, Hitbro Wollen 1935 ثم مجلة Nationale sonjia-listische Monatshefte ج ٦٠ سنة ١٩٣٥

(١) أنظر ص ٢١٨ من كتاب Der Myttus

(٢) ليس من السهل ذكر جميع آراء مايستر إيكهارت في التصوف ونكاد نكون هي فلسفة متصوفي الاسلام تماما حتى في تعابيرها إذ يظهر كأنها مترجمة إلى الألمانية القديمة واللاتينية ومن يريد التوسع فليطالع Denifle, O. Kärrer die ausgewählten كذلك Meister Eckehart lat. Schriften L. Büttner, Meister Ecke- وكذلك Texet Meisters Eckehart 1923 Alfred Rosenberg Der ثم harts schriften und Predigten 2 Bd Othmar Spann, Philosophen ثم mythus des XX Jahrhunderts Spiegle 1933 ص 260 وما بعد

الافصاح في فقه اللغة

معجم عربي : خلاصة المخصص وسائر المعاجم العربية . يرتب الألفاظ العربية على حسب معانيها ويسعفك باللفظ حين يحضرك المعنى . أقرته وزارة المعارف ، لا يستغني عنه مترجم ولا أديب ، يقرب من ٨٠٠ صفحة من القطع الكبير . طبع دار الكتب .

ثمنه ٢٥ قرشا يطلب من مجلة الرسالة

ومن الكتب الكبيرة ومن مؤلفيه :

حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدي